قسمين أحدهما في النار: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً. للطاغين مآبًا. لابثين فيها أحقابًا. لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا. إلا حميمًا وغساقًا. جزاءً وفاقًا. إنهم كانوا لا يرجون حسابًا. وكذوا بآياتنا كذابًا﴾[1].

فعلة كل هذا العذاب الذي توعدهم به هي عدم اكتراثهم بالحساب، وما يعنيه ذلك من تكذيبهم بآيات الله، وهذا العذاب هو جزاءٌ عادل ﴿جزاءً وفاقًا﴾ مكافئ لتلك الجريمة، فلا يمكن إذن أن تكون هذه الجريمة، جريمة عدم توقع رحمة الله إلا أن يكون هذا على سبيل المجاز، ولا داعي لتأويل ما دام النص يحتمل وجهًا أقرب!

وقد تضمن النص إشارة لفظية أخرى فيها تعليل ضمني لهذا العذاب هي قوله ﴿للطاغين مآبًا﴾، فاختيار الطغيان وصفًا لهم ينطوي على تبرير وتعليل غير مصرح به في التركيب بأداة ربط دالة على السببية كفاء أو لام أو لأن، أو ترتيب جمل يدل على التعليل، كما في ﴿جزاءً وفاقًا﴾ مفعول لأجله مثلاً، أو ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابًا﴾ جملة مفسرة.

وهذا الاختيار ذاته بما فيه من تضاد مع معنى الخوف والشعور به مؤشر هو الآخر إلى الخوف، وقد استعمل من قبل في آية يونس، معطيًا القيمة الدلالية نفسها بقوله ﴿لا يرجون﴾.

٦- قول الله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورًا. وإذا رأوْك إن يتخذونك إلا هُزُوًا أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾[2].

وقعت جملة نفي الرجاء في هذه المرة، جوابًا لاستفهام يستنكر استهانة أولئك ﴿فاعل الرجاء﴾ بأقوام من قبلهم ذكر في سياقٍ آخر أنهم كانوا ﴿يمرون عليها مصبحين﴾.

والحق أن فهم اللفظ هنا لا يبدأ من هذه الآية، بل يبدأ قبلها ببضع آيات، بل قد يرجع إلى الآية الحادية والعشرين حيث ذكر الذين لا يرجون لقاء الله كما تناولنا هذا الوصف بالتحليل من قبل، ففي نهاية وصف حال أولئك الكافرين يوم القيامة، تأتي شكوى الرسول صلى الله عليه سلم أو شهادته لله سبحانه ﴿وقال الرسول يا رب إن

(١) النبأ: ٢١ـ ٢٨.
(٢) الفرقان: ٤٠ـ٤١.